

## الإطلال على وادي يوسمايت، كاليفورنيا، 1865

لقد ظل وادي يوسمايت منعزلاً بسبب تضاريسه حتى قبيل منتصف القرن، عندما تسبب البحث عن الذهب في كاليفورنيا عام 1848 في مجيء الغرباء إلى جبال سيرا وتم «اكتشاف» الوادي. وقد أثار الوادي الذي ظل مجهولاً لسنين طويلة فضول الأمريكيين، وأشبع بيرستاند فضولهم من خلال تسجيل معالمه الرئيسية - مثل صخرة إل كابيتان الجرانيتية في الجانب الشمالي (على يمين قماش الرسم)، في مقابل قمة صخرة سنتينل روك وكتل صخور كاثيدرال روكس - إلا أنه قد بالغ في أحجامها الضخمة، وربما كان الضباب الذهبي الذي استخدمه بيرستاند للتخفيف من حدة حواف الجرف الصخرية العظيمة مبرراً للتغاضي عن تحويره للحقيقة، وكما أشار أحد نقاد سان فرانسيسكو في عام 1865، "يبدو الأمر كما لو كانت اللوحة رسمت في إحدى مدن الذهب، في أرض الذهب البعيدة، التي سمعنا بها في الأغاني والقصص، وحلمنا بها لكننا لم نرها أبداً".

لقد كان لبيرستاند فهم استثنائي لما كان الأمريكيون يريدون اعتقاده وذلك بأن انتظارهم على الحدود الغربية: جنة عدن المباركة من الله التي لم تمسها الحروب الأهلية والتي تبشر ببداية جديدة. وتمثل لوحاته الرومانسية الأمل الذي كان يجدو الجميع في أرض بعيدة تداوي جراح الأمة. وقد أكد العالم التراثي (ومؤسس نادي سيرا) جون موير، والذي كان شبه معاصر لبيرستاند، على فكرة أن لوحة وادي يوسمايت بإمكانها إنعاش الروح: فكان وعده للسائح المرتقبين أن "الرياح ستهب بنضارتها إلى داخلك، كما ستهبك العواصف قوتها، بينما تتساقط همومك مثل أوراق الخريف".

وكانت لوحة إطلالة على وادي يوسمايت ستنتقل إلى أستوديو نيويورك الخاص ببيرستاند في عام 1864، عندما قرر أبراهام لينكولن تخصيص المنطقة كحديقة تابعة للولاية. وكانت تلك هي المرة الأولى التي تقوم فيها الحكومة الفيدرالية بالحفاظ على قطعة أرض طبيعية من أن يعبت بها التطوير. ولكن عند استكمال مشروع السكة الحديدية العابرة للقارة بعد ذلك بخمس سنوات، أقبل السائحون من كل حذب وصبوب إلى المنطقة ليروا بأنفسهم الأماكن الرائعة التي لم يعرفوها إلا من خلال اللوحات والصور. وعند عودة بيرستاند إلى يوسمايت في عام 1872، نعى فقدان البيئة البرية البكر التي صورها منذ بضع سنوات فقط.

في زمن قل فيه من كان يرتحل من الأمريكيين مغامراً غرب المسيحي، تعد لوحة إطلالة على وادي يوسمايت، كاليفورنيا فرصة لرؤية مشهد مبهج لأحد عجائب الطبيعة في تلك الجهة البعيدة من القارة الأمريكية. وبعد قيام ألبرت بيرستاند برحلته الأولى إلى الغرب الأمريكي في عام 1859، أبدع سلسلة من لوحات المناظر الطبيعية التي ذاع صيتها بين جماهير الساحل الشرقي لدرجة جعلته يتطلع للعودة إلى هناك لرسم المزيد من اللوحات. وقد تسبب وقوع الحرب الأهلية في تأجيل رحلته، ولكن في عام 1863، خرج بيرستاند من فيلادلفيا مرتحلاً عبر القارة بالقطار، ثم بعربة الخيول، ثم على ظهر الحصان. وعند وصوله أخيراً إلى كاليفورنيا، كانت المناظر الطبيعية تفوق توقعاته، ولأن بيرستاند وُلد وتعلم في ألمانيا، فقد كان خبيراً بجمال سلاسل جبال الألب؛ ولكنه كان يؤكد أنه في جميع أوروبا "لا توجد مناظر تضارع ولو للحظة واحدة جبال سيرا نيفادا في المحافظة يوسمايت من جلال وعظمة". وتؤكد لوحة إطلالة على وادي يوسمايت هذه الدعوى القومية، كما تعبر عن إحساس الفنان بالإعجاب لدى رؤيته لمنظر الجبل المهييب لأول مرة.

وقد تم اعتماد الحجم الكبير بشكل استثنائي والذي اختاره بيرستاند لقماش الرسم (5 في 8 أقدام) بالإضافة إلى المنظر البانورامي المطل على الوادي (20 إلى 30 ميل) بهدف جذب المشاهدين إلى داخل الصورة للاستمتاع بالمشهد بأنفسهم. وقد اعترض بعض النقاد المعاصرين على هذه الحيل الحسية، بزعم أن أساليب بيرستاند جعلت الصورة تبدو كما لو كانت مشهداً مسرحياً وليست من الفنون الجميلة - ولكن ربما كانت هذه النتيجة هي المطلوبة بالفعل، فلم يعرض بيرستاند أي ممثلين في المشهد الخاص به - ولم يظهر مسافر واحد أو صائد أو مستوطن أو هندي أمريكي - وفي وسط المشهد، حيث تتوقع ظهور ذروة درامية للعمل، لا يوجد سوى مساحة واسعة مغمورة بالضوء الذهبي الذي يتخلل السحب، وفي السيناريو الخاص ببيرستاند، يتمثل المشاهد وجهة نظر الفنان مكتشفاً أن البشر أمام روعة هذا المنظر الطبيعي يتضاءلون وكان لا وجود لهم.



٨-ألبرت بيرستاند (1830-1902)، إطلالة على وادي يوسمايت، كاليفورنيا، 1865. لوحة زيتية على قماش رسم، 64½ × 96½ بوصة (163.83 × 245.11 سم). متحف برمنجهام للفنون، برمنجهام، ألاباما (1991.879). هدية من مكتبة برمنجهام العامة.

## صف وحلّل

م

أين ترى الأشجار معكوسة في الماء؟ في وسط اللوحة.

م

صف تركيب الصخور. تبدو الصخور خشنة أو بالية.

م

اطلب من الطلاب كتابة ثلاث أو أربع كلمات تخطر ببالهم عند رؤية هذه اللوحة لأول مرة. اطلب من كل طالب على حدة ذكر إحدى الكلمات التي كتبها والتي لم يذكرها طالب آخر حتى الآن. اكتب كل كلمة على السبورة أو ورقة كبيرة. شجع الطلاب على توضيح سبب تفكيرهم في تلك الكلمة. لاحظ عدد الكلمات التي تشير إلى الحجم والفخامة.

م

إذا وقف شخص ما في وسط هذا المشهد، فكيف سيبدو حجمه؟ قارن شخصًا يبلغ طوله ستة أقدام بإحدى الأشجار، وتخيل شعور ذلك الشخص مقارنة بهذه الجبال. كيف سيصف هذا المشهد؟

م

كيف أعطى بيرستاند انطباعًا وهميًا بالمسافة أو العمق الكبيرين؟ لقد جعل الأشياء في المقدمة تبدو بلون أكثر قتامة وأكثر تفصيلاً وأكبر من الأشياء البعيدة. وتسمى هذه الطريقة بالمنظور الجوي.

م

أسأل الطلاب عما يلاحظونه أولاً عند النظر إلى هذه اللوحة. ربما يلاحظ الطلاب المنطقة المضيئة في وسط المشهد. ما الأثر الذي يضيفه هذا الضوء إلى العنصر الدرامي للمشهد؟ يضيف الضوء ظلالاً داكنة تتباين مع المناطق المضيئة والساطعة على نحو درامي.

م

في الخريطة، حدد موضع حديقة يوسمايت الوطنية. اطلب من الطلاب مقارنة صور وادي يوسمايت بلوحة بيرستاند للتعرف على مبالغته في حجم التكوينات الصخرية. (تتوفر صور هذا المشهد على الإنترنت.) اطلب من الطلاب التفكير في ما إذا كانت الشمس في اللوحة تشرق أم تغرب. استخدم خريطة للتعرف على اتجاه التكوينات الصخرية - في اللوحة تظهر قمم كاثيدرال سبايرز وصخرة سنتينل روك على اليسار بينما تظهر إل كابيتان على اليمين.)

مفسر م

لقد رسم بيرستاند بعض التكوينات الصخرية في لوحته بشكل أطول مما هي عليه في الحقيقة. اسأل الطلاب عما إذا كانوا يعتقدون أن هذه المبالغة تعد من قبيل عدم الأمانة. اطلب منهم تقديم سبب اعتقادهم بأنه يحق للرسام أو لا يحق له المبالغة في بعض ملامح مشهد كهذا. بالإضافة إلى المبالغة في حجم الصخور، كيف جعل بيرستاند المنطقة الغربية تبدو أكثر فخامة مما هي عليه في الحقيقة؟ لقد غمر المشهد بضوء ذهبي متوهج.

ث

أسأل الطلاب عن الحدث القومي الذي كانت أمريكا خارجة منه في عام 1865، عندما تم رسم هذا المشهد. لقد كانت الحرب الأهلية.

لماذا يعطي هذا المشهد أملاً للأمريكيين؟

لم يكن يبعث على الإحساس بالسلام فحسب عند النظر إليه، وإنما كان يذكرهم أيضاً بالحدود الغربية، والتي كانت تعد أرضاً واسعة وجميلة تنتظر من يستقر بها. وكان العديد ينظرون إلى المنطقة الغربية كبشارة لبداية جديدة.

ث

اطلب من الطلاب توضيح الدور الذي قامت به لوحات بيرستاند في تطوير السياحة بمنطقة الغرب. عندما شاهد الناس المقيمين في الشرق تصوير بيرستاند للمناظر في الغرب، أرادوا رؤية ذلك بأنفسهم. وفي بضع سنوات، ومع دخول السكة الحديدية إلى تلك المنطقة، استطاعت أعداد غفيرة من السائحين القدوم إلى هناك وزيارة يوسمايت.

روابط أدبية ومستندات رئيسية: Nature (الطبيعة)؛ رالف والدو إيمرسون (المرحلة الثانية)؛ A Thousand-Mile Walk to the Gulf (مسيرة ألف ميل إلى الخليج)، جون موير (للمرحلة المتوسطة والمرحلة الثانية)

الفنون: مدرسة نهر هدسون؛ مقارنة مع أعمال فريدريك تشيرش

جغرافيا: وادي يوسمايت؛ سيرا نيفادا علوم: علم البيئة؛ حماية البيئة؛ الجيولوجيا

روابط تاريخية: طريق السكة الحديدية العابر للقارة؛ البحث عن الذهب في كاليفورنيا؛ حركة الحماية؛ الحدائق الوطنية؛ التوسع غرباً شخصيات تاريخية: تيودور روزفلت؛ جون موير